ورقة الشاي

ألفريد هيتشكوك

تقابل آرثر كليستون، وهاف ويلتون، في الحمام التركي في شارع الدوق، وافترقا بعد تلك المقابلة مدة تزيد على العام كلاهما كان سيئ المزاج؛ فكليستون مشاكس وويلتون عنيف، ومن الصعب تحديد أيهما أكثر سوءًا في مزاجه عن الآخر. تمت صداقتهما فجأة، لم أكن أتوقع استمرار تلك الصداقة أكثر من ثلاثة أشهر إلا أنها امتدت أكثر من سنة كاملة تقريبا.

كان موضوع خلافهما ابنة كليستون (روث) خطيبة ويلتون سابقا؛ فقد فسخت الخطوبة بعد ستة أشهر فقط، على شدة حب كل منهما للآخر، ولم يبديا سببا معقولا للانفصال. وأغلب الظن أن (ويلتون) كشف لـ (روث) عن مزاجه الشيطاني اللعين. كانت روث متميزة عن أفراد أسرتها وتشبه والدتها: سمراء ذات أنف مستقيم وعيون بنية معتمة من النوع الجذاب، شعرها بني غامق، وشفتاها من أجمل ما رأيت.

إنها مغرورة ومعتدة بذاتها، جريئة، ذات مزاج خاص، تستطيع أن تتكيف به مع ذلك المشاكس ويلتون، والغريب في الأمر أنه على محاولته السيطرة عليها إلا إنها مولعة به، وربما كانت المخلوق الوحيد

في العالم الذي يولع به. كان خبيرا في تطبيق واستعمال الاكتشافات العلمية في مجال الصناعة وكانت تساعده في مخبره مقابل راتب قدره خمسمائة ليرة في السنة، فمن الطبيعي أن تكون سعيدة.

كان لفسخ الخطوبة وقع شديد عليهما معا، وأعتقد أن ويلتون حملها على أن تنكث بالعهد، فقدت روث بعد فسخ الخطوبة الكثير من حيويتها وجمالها، أما ويلتون فقد ساءت حالته عن ذي قبل، أصبح كالدب الذي يؤلمه رأسه على الدوام.

حاولت التماس طريقة لإصلاح ما بينهما لكني لم أفلح. لقد خسرا بعضهما تماما، وكم كانت سعادتهما عظيمة فيما لو تخيلنا عن غرورهما الغبي وعادا.

بذل كليستون قصارى جهده ليبقى روث على خلافها مع ويلتون. قلت له في إحدي الليالي: على أن الأمر لا يعنيني إلا أنني لا أقيم وزنا لمزاجه، بأنه من الحمق تدخله فيما لا يعنيه، ومن الافضل أن يتركهما وشأنهما. لقد أزعجه كلامي بالطبع وأخذ ينعت ويلتون بأقذع الشتائم، وكانت تبدو عليه علائم اليأس والعلة.

وفي ثورة غضبه سعى كليستون جاهدا لإيذاء ويلتون وفضحه في نواديه، في أثينا ودوفونشير وسافيل، فكان يحول أي حديث نحوه ببراعة، ثم ينعته بالوغد من الطراز الأول، آذى ذلك ويلتون كثيرا إلا أنه لم يكن إيذاؤه ليصل القدر الذي أراده كليستون؛ ف (ويلتون) خبير بعمله

أكثر من أي مهندس آخر، ومن الصعب تشويه سمعة امرئ متمكن من عمله وعلمه. ولم يكن يغيب عن ويلتون ما يفعله كليستون.

كان ويلتون خبيرا في عمله في الجسور الحديدية التي ارتفعت فملأت سماء لندن، كما كان كليستون متألقا في معمله، كانا متشابهين في العقلية والمزاج السيء إلى جانب اشتراكهما بطريقة تفكير واحدة، ووتيرة واحدة. صمما على الاستمرار في أسلوب حياتهما مع فسخ الخطوبة.

كان من عادتهما الذهاب إلى الحمام التركي في شارع الدوق الرابعة مساء يومي الثلاثاء الثاني والأخير من كل شهر، يتقابلان هناك لمدة عشرين دقيقة، يلقي فيها كل منهما كل مرة نظرات عابرة على الآخر نظرا لتعنتهما في إظهار مشاعر كل منهما لبعض، بما فيها من الكره والبغض.

التقيا آخر مرة في الحمام التركي بعد فسخ الخطوبة بثلاثة أشهر، بدا كليستون مريضا منذ ستة أسابيع، يبدو شاحب الوجه ذا نظرات يائسة، وصل يوم الثلاثاء الثاني من تشرين الأول إلى الحمام في تمام الساعة الرابعة، وقد أحضر معه كعادته "ترمسا" من الشاي الصيني الأخضر يحتسي منه كلما شعر بتوعك بعد الحمام. وصل ويلتون بعده بدقائق، خلع كليستون ملابسه ودخل غرفة الحمام قبل ويلتون بدقيقتين. بقيا في الغرفة الحارة مدة متساوية، وبعدها انتقل كليستون إلى الغرفة الأكثر حرارة بعد ويلتون بدقائق مصطحبا معه (ترمسه).

وتشاء المصادفات أن يكونا وحيدين في الغرفة الأكثر حرارة، ولم تمض على دخولهما دقيقتان حتى سمع شجارهما الرجال الأربعة في الغرفة المجاورة، نعت كليستون ويلتون بأقذر الشتائم كما صرح بأنه سيقضي عليه، فأجابه ويلتون: "ليذهب إلى الشيطان" مرتين. مضى كليستون في كيل الشتائم له، فما كان من ويلتون أن صرخ بأعلى صوته: "اخرس.. أيها الأحمق العجوز! وإلا سأقتلك"، إلا أن تهديد ويلتون لم يكن ليردع كليستون فيصمت. فخرج ويلتون بعد دقيقتين من شجارهما عابسا من الغرفة الأكثر حرارة، ومشى عبر الغرفة الحارة إلى غرفة التدليك ووضع نفسه بين يدي أحد المدلكين.

وبعد ثلاث دقائق دخل رجل يدعى هلستون إلى الغرفة الأكثر حرارة. كان كليستون ممددا علي ظهره والدم يتدفق من جرح فوق قلبه.

حدثت هناك جلبة وضوضاء، واستدعيت الشرطة التي قامت باعتقال ويلتون الذي فقد السيطرة على أعصابه، وأخذ يحتج بعنف ويبعد التهمة عن نفسه بشتى الطرق، إلا أن أحدا لم يكن ليصدقه.

وبعد فحص الغرفة والجثة، خرج مفتش التحري المسؤول عن القضية بنتيجته مفادها أن كليستون قد غدر أثناء شربه للشاي، فقد كان (ترمس) الشاي ملقى على الأرض، وانزلقت منه بعض أوراق الشاي، ولا بد أن الخادم قد عبأ الشاي بإهمال، فلم يصف الشاي من أوراقه.

وبدا وكان المجرم قد انتهز انشغال كليستون بشرب الشاي، فقام بطعنه متخفيا بالترمس الذي كان يشكل حاجزا بينه وبين كليستون، وكان

من الواضح أن القضية منتهية لولا حقيقة انعدام السلاح المستخدم. من السهل على ويلتون أن يدس السلاح في المنشفة التي يلف بها جسده، ولكن كيف تخلص منه؟ أين خبأه؟ إذ ليس من السهل إخفاء أي شيء في الحمام التركي، فهو عار وفارغ.

قامت الشرطة بتفتيش كل جزء من البناء مر به ويلتون، فقد خرج من الغرفة الأكثر حرارة عبر الغرفة الحارة إلى غرفة التدليك، في الوقت الذي صاح به هيلستون: "جريمة!" فما كان من ويلتون إلا أن هرع عائدا مع المدلكين إلى الغرفة الأكثر حرارة وظل هناك وبما أن الشبهات حامت حوله بشكل واضح، فقد أطبق المدلكون وعمال الحمام الطوق عليه لتأكدهم من هروبه فيما لو ذهب إلى غرفة الثياب، لو سنحت له الفرصة بذلك.

لا بد أنه قد حمل السلاح إلى الحمام مخبأ بالمنشفة، ووضعها جانب الحوض الذي يستحم فيه، دون أن يمسها أحد، ولم يجدوا أثرا للسلاح أو الدماء عليها، غير أن الجرح كان يشير إلى استخدام سلاح ما، فأين هو يا ترى؟!!

أدلى الأطباء الذين أجروا التشريح على الجثة أن الجرح ناجم عن استخدام أداة حادة مدببة ومدورة، يبدو أن قطرها يصل حوالي ١ سم، دخلت بعمق ٥و٧ سم. وبفرض أن مقبضها بطول ١٠ سم، فلا بد أن تكون أداة ظاهرة، ومن المستحيل إخفاؤها.

وأكد الأطباء أن كليستون كان قد لقي حتفه أثناء عملية شرب الشاي، كما اكتشفوا أنه كان يعاني من مرض السرطان. ولم تنشر هذه الحقيقة في الصحف. مثل ويلتون بين يدي القضاء، وكم كانت دهشة الناس شديدة عندما وقف يدافع عن نفسه بنفسه، دون أن يوكل أي محام للدفاع عنه ويقسم بأعظم الأيمان إنه لم يلمس كليستون، ولم يكن بحوزته أي نوع من السلاح عندما توجه إلى الحمام التركي.

امتلأت الصحف بأنباء الجريمة، وكان السؤال المطروح على الساحة:

- أين استطاع ويلتون إخفاء السلاح؟

كتب الناس إلى الصحيفة يقترحون احتمالات كثيرة لحل هذا اللغز، وشغلت إنكلترا بأكملها بالبحث عمن باعه ذلك السلاح العجيب، على أن كل الدلائل تشير إلى أن ويلتون هو الجاني، ولا أعتقد ذلك؛ فهو ليس بالرجل الذي يرتكب جريمة فظيعة كهذه، وإن لم يكن هناك بد من مدبر لتلك الجريمة، فلا يمكن أن يكون غير كليستون.

كنت صديقا مقربا من ويلتون، لذا ذهبت لزيارته في السجن، وقد تأثر لتلك اللفتة وبدا ممتنا لزيارتي، فقد علمت أني الوحيد الذي قام بذلك. شرح لي الجريمة على عجل، وتكلم بصراحة تامة في أنه لم يتوقع أن أصدق براءته في ظل تلك الظروف. أكدت له ثقتي التامة ببرءاته، فعادت نظرة الامتنان تطل من عينيه.

كانت روث في حالة حداد على والدها، لكن الخطر المحدق بـ (ويلتون) كان يشغل بالها ويضعها في دوامة؛ فالمرأة قد تتشاجر مع رجل بمرارة دون أن ترغب في شنقه، وهذا المصير الذي بدا محيقا بـ (ويلتون)، لكنها لم تكن لتصدق – ولو لحظة واحدة – أن ويلتون قاتل أبيها. قالت بتصميم:

"لا، لا شيء من هذا القبيل.. لا شيء أبدا لو أن أبي قتل ويلتون لكان الأمر بدهيا، فلديه الأسباب المسوغة له ذلك، أما أن يقتل ويلتون أبي، فهذا مما لا يصدق، إنه مجرد هراء إذ ليست هناك أسباب دافعة لذلك".

أيدت رأيها ودليلها المنطقي الذي أدلت به على براءة ويلتون، ولكن يبقى السؤال المطروح: "من الفاعل؟" وأخبرتها بأن الشرطة قد قامت بتحريات دقيقة عن كل شخص تواجد في الحمام ذلك الوقت، ولم تصل إلى دليل يرشدها.

قالت مفكرة: "إما أن يكون القاتل أحد الموجودين في الحمام، وإما شخصا من الخارج، ارتكب الجريمة ولاذ بالفرار" "لا أعتقد أن بإمكان أحد من الخارج أن يدخل الحمام، ويخرج منه بسهولة"

ازداد عبوس وجهها عندها، وكأنها تشهد الواقعة في مخيلتها، وكان من الواضح أنها تعمل عقلها للوصول إلى كيفية وقوع الجريمة كما وقعت فعلا، وبقيت مستغرقة في التفكير.

اتصلت بها صبيحة يوم المحاكمة بعد الإفطار للذهاب إلى نيو بيلي مكان المحكمة. كانت شاحبة تبدو عليها أمارات الأرق والسهر، وكان هذا بالطبع دليلا على ما كانت تخفيه من انفعالات ومشاعر، على ما كانت عليه من قدرة وحزم في إخفاء مشاعرها.

قالت بصوت منفعل: "أظن أنني وجدتها"

كان لنا لقاء مع هاملي محامي ويلتون بالطبع.. كان يأمل أن تساعده روث بالمشورة باعتبارها أقرب شخص من ويلتون وأبيها في الوقت نفسه. كان توقيتي في الانطلاق مناسبا، فقد وصلنا عند افتتاح الجلسة. كانت القاعة مليئة بالنساء المتأنقات، بعد قليل دخل القاضي، ومما زاد توتر الجو أجراس الكنيسة التي تقرع لبدء طرح الجريمة بدقائقها، فكأنه جو غرفة مريض، يلفظ أنفاسه الأخيرة.

بدا ويلتون مقهورا داخل قفص الاتهام، لكنه كان ما يزال محتفظا بكرامته، وقال بصوت ثابت: "إنه غير مذنب"

افتتحت الجلسة وقرأت جهة الادعاء الوقائع، لم يكن في صوته ما ينم عن وضع أصابعهم على أي جديد. ثم رجا هيئة الملحفين ألا تعير اختفاء السلاح أي اعتبار

وقف المحامي هيلستون بعد ذلك عارضا الوقائع، مشيرا إلى عجز الشهود ورواد الحمام إثبات رؤيتهم للسلاح في يد ويلتون. ثم جاء التقرير الطبي ليؤكد على أن السلاح لا بد أن يكون ذا حجم ملحوظ

وأنه مصنوع من الفولاذ أو الحديد مدبب بحدة كقلم الرصاص ومن المستحيل تلاشيه من الحمام التركي، كما لفت الأنظار إلى ورقة الشاي المشطورة والتي وجدت على الجرح مباشرة، وفسر وجودها بأن السلاح المستخدم قد تسبب في تمزيقها وبأن عملية القتل قد تمت أثناء شرب الشاي، وقد استبعد المفتش المسؤول عن البحث عن السلاح إمكانية إخفائه في أي بقعة من الحمام التركي، أصر على الافتراض القائل أن السلاح لم يغادر الغرفة الأكثر حرارة.

استفسرت جهة الادعاء عن العبارات الجارحة التي تبادلها كليستون وويلتون، أخبر ثلاثة رجال معروفون هيئة المحكمة عن جهود كليستون للتجريح بويلتون وعن العبارات المؤذية التي شتمه بها فأتت معبرة عن منتهى الفظاظة التي يكنها كليستون لـ (ويلتون)

لفت انتباهي أثناء استجواب المدلكين نقر روث بأصابعها كدليل على توترها وتلفتها نحو مدخل المحكمة بنفاذ صبر وكأنها تتوقع أحدا ما ثم دخلت إلى منصة الشهود فإذا برجل طويل أشيب الراس في حدود الستين يدخل حاملا طردا ورقيا كان وجهه مألوفا إلى إلا أنني لم أتمكن من تحديد هويته تماما.

نظر هذا الرجل إلى (روث) وأومأ برأسه فأطلقت تنهيدة عميقة تنم عن ارتياحها لمجيئه ثم انحنت وناولت محامي ويلتون رسالة وأشارت إلى الرجل الأشيب ثم ذهبت بهدوء إلى منصة الشهود.

قرأ المحامي (هاملي) الرسالة وقام بتسليمها فورا إلى جهة الادعاء، وتحدث إليه.. بانفعال ملحوظ قرأ المدعي الرسالة، وبدت أمارات الانفعال بدوره على وجهه.. نهض المحامي هاملي من مقعده وذهب إلى الرجل الأشيب الذي مازال واقفا جانب الباب وأخذ يتحدث إليه.

شرع المستشار الأول يتأمل روث مليا؛ فاستدعيت روث لتدلي أمام المحكمة بتهديدات أبيها الصريحة لويلتون، ثم سألها عن علاقتها الخاصة بويلتون وعن فسخ الخطوبة ووقع ذلك على والدها.

اعترفت روث ان والدها كان فظا غليظا مع ويلتون، وأنه أسر لها بعزمه على بذل كل ما بوسعه لتحطيم ويلتون، لكنها لم تصدق ما قاله لها والدها بأن ويلتون قد نبذها وكرهها.

نهض المدعي العام لاستجواب روث بثقة وجابهها بحقيقة العلاقة الحميمة التي تربط والدها بويلتون إلى ما قبل فسخ الخطوبة ثم سألها: "هل صحيح أن المتهم استسمحك غير مرة وطلب منك العودة وتجديد الخطوبة مرة أخرى؟!".. قالت روث: "أربع مرات" "أنت ترفضين؟".. "نعم" ثم نظرت إلى ويلتون وأضافت: "إنه بحاجة لدرس"

سألها القاضي: "هل كنت تنوين إذا أن تغفري له في النهاية؟"

ترددت روث ثم عبست بوجه ويلتون وقالت: "أوه.. حسنا لا داعي للعجلة، فهو مستعد دائما لأن يتزوجني إذا غيرت رأيي وقبلت"

فقال القاضي: "وهل يعرف أبوك هذه المشاعر؟ "

"لا.. لم أخبره كنت غاضبة مع ويلتون"

وبعد فترة من الصمت تابع المدعي من منطلق آخر:

"هل صحيح أن أباك مصاب بسرطان خطير؟"

أجابت روث بحزن: "بداية سرطان خطير"

"هل قام بكتابة وصيته بممتلكاته قبل وفاته؟"

"قبل ثلاثة أيام"

"هل سبق له أن عبر عن رغبته بالانتحار؟"

"لقد قال أنه سيترك الأمر قليلا ثم ينهيه دفعة واحدة"

ثم اضافت بعد برهة: "وهذا ما فعله"

اضطربت قاعة المحكمة، وتململ كل شخص في مكانه وعلت الهمهمة.. تابع المدعي:

"هل لك أن تخبري المحكمة عن الأسباب التي دعتك لقول هذه العبارة؟"

استجمعت روث نفسها –كانت تبدو متعبة جدا – وتكلمت بصوت هادئ:

"لم أكن لأستطيع التسليم ولو لحظة واحدة، أن ويلتون قام بقتل والدي، ولو قام والدي بقتل ويلتون لاختلف الأمر.. أصابتني الحيرة طبعا كأي شخص لمعرفة السلاح الذي استخدم كيف كان وكيف تم له الحصول عليه؟ وبديهي ألا يكون مصنوعا من الفولاذ المدبب لصعوبة إخفائه في الحمام التركي لكن الشيء الذي أثار حيرتي أكثر كان وجود ورقة الشاي في الجرح، كانت جميع الأوراق المتساقطة من (الترمس) ملقاة على الأرض، ولم أقتنع بفكرة أن ورقة واحدة قد سقطت على قلب والدي فوق موضع الجرح بالذات وقت ارتكاب الجريمة فشطرها السلاح نصفين إنه استنتاج غير مقنع غير أني لا أجد تصورا يفنده"

توقفت قليلا، وطلبت كأسا من الماء بسبب سهرها الليلة السابقة كلها.. قدمت إليها الكأس الذي طلبته. ثم تابعت حديثها بصوتها الهادئ:

"تذكرت بالطبع كلام والدي عن نيته في إنهاء الأمر كله، ولكنني عاجزة عن تخيل استطاعته النهوض بعد طعن نفسه بذاك السلاح وإخفاءه بعد انتحاره به؛ إذا فمن غير الممكن أن يكون قد قام بعملية الانتحار، وفي ليلة ما قبل الأمس حلمت أني ذهبت إلى المخبر ولفت نظري قطعة فولاذ مدببة ملقاة على منضدة والدي التي اعتاد العمل عليها"

دمدم المستشار بانزعاج: "أضغاث أحلام!"

تابعت روث: "لا آخذ الأحلام على محمل الجد طبعا، وربما كان لانشغالي الدائم بهذه القضية الدور الرئيسي الذي يوحي لي بهذه الفكرة، ولا أخفيكم ما انتابني من شعور خفي – بعد الإفطار – من أن السر كل السر كامن في المخبر لا غيره، لم ألق بالا إلى ما كان يصرخ بي من الداخل، ولكنه أخذ يتعاظم ويشتد شيئا فشيئا، فما كان مني إلا أن توجهت بعد الغذاء نحو المخبر للبحث في صدق ذلك.. فتشت جميع الأدراج ولم أجد شيئا وطفت بالغرفة أتفحص كل شيء: الأدوات، التقارير، الأنابيب، وما إلى ذلك، ثم توقفت في منتصف الغرفة، وأخذت أنعم النظر في الأرض والجدران وقرب الباب.. رأيت أنبوبة غاز جاهزة للاستخدام، أمسكتها لأتعرف على الغاز الموجود فيها من خلال الورقة الملتصقة عليها"

توقفت لتنظر في أرجاء المحكمة، ثم تابعت:

"كان الأمر مريباً لأن أي أنبوبة غاز يلصق عليها ورقة تحدد محتوياتها، فالغازات خطرة. نزعت غطاء الأنبوبة فلم ينبثق منها أي غاز ما، فقد كانت فارغة تماماً. توجهت بعدها إلى الكتاب الذي تسجل فيه كل المواد التي تحضر إلى المخبر، ووجدت أن والدي كان أحضر قبل وفاته بعشرة أيام أنبوبة غاز ثاني أكسيد الكربون، وسبعة أرطال من الجليد. وتكرر إحضاره لسبعة أرطال الجليد يوميا حتى يوم وفاته، وكان إحضاره للجليد بوجود غاز ثاني أكسيد الكربون الشرارة التي أضاءت لي الفكرة في ذهني؛ فغاز ثاني أكسيد الكربون له درجة تجمد منخفضة،

ثمانون درجة مئوية تحت الصفر، وإذا امتزج الهواء فإنه يتحول إلى ثلج ناعم ويتحول هذا الثلج الناعم إلى جليد ذي قساوة عالية جداً يمكن الحصول عليه فيما لو تعرض لضغط شديد. ولربما استحضر والدي هذا الجليد واتخذه وسيلته في إحداث الجرح، إضافة إلى خاصية تبخره السريع!! خاصة في تلك الحرارة العالية، وبالتالي فلن يتوصل أحد لاكتشاف الأداة المسببة لذلك الجرح".

توقفت ثانية لتنظر في أرجاء القاعة، تتأمل الوجوه الكثيرة المشدوهة، ثم تابعت حديثها:

"وهكذا صنع والدي خنجراً من الجليد، له سرعة تبخر عجيبة في الغرفة الأكثر حرارة، ولتفسير تموضع ورقة الشاي على صدره، فلربما كان والدي قد صنع الخنجر قبل أسبوع أو قبل يوم واحد، ثم خبأه في (الترمس) بعد صنعه مباشرة، وكما تعلمون فإن (الترمس) يحفظ حرارة الجسم الموجود بداخله. وعلى سبيل الحيطة فقد وضع والدي الترمس في الثلاجة حتى موعد استخدامه، مما أدى إلى التصاق ورقة الشاي بطرف الخنجر، وسقطت داخل الجرح!"

توقفت مرة أخرى عن الحديث، ويمكن القول إن القاعة كلها قد تنهدت بارتياح لكلامها. سألها القاضي: "ولكن ما الذي منعك من الذهاب فوراً إلى الشرطة للإدلاء بهذه النظرية؟"

احتجت بسرعة: "ليس هذا بالتصرف السليم طبعاً، فالمهم أن يصدقني الآخرون وليست معرفتي لذلك الأمر، وكان علي أن أقوم

بالبحث عن الدليل على هذا كله. كنت أبحث عن القالب الذي ضغط فيه والدي ثاني أكسيد الكربون الثلجي ليشكل عن طريقه الخنجر، وقد وجدته!"

لفظت الكلمات الأخيرة بنبرة انتصار، واستدارت نحو ويلتون مبتسمة، ثم تابعت:

"وجدت قطعاً منه على الأقل. وجدت في الصندوق الذي نرمي فيه النفايات والأنابيب التالفة وقطع المعادن والأدوات عديمة الفائدة، وجدت قطعاً من الفلكانيت (مطاط صلد معالج بالكبريت)، واكتشفت أنها قطع من قارورة الفلكانيت. أخذت بعض الشمع وكورته بالحجم المناسب، ثم قمت بجمع قطع القارورة من الخارج، أغلبها على الأقل عن طريق الشمع، فقد كانت بعض الأجزاء الأخرى مفقودة، واستغرق ذلك العمل الليل بأكمله، ولكني وجدت أكثر القطع أهمية وهي النهاية المدببة".

مدت يدها إلى محفظة يدها، وأخرجت مادة سوداء بطول اثنتي عشر سنتيمتراً، بثخانة سنتيمترين، ورفعتها عالياً ليتمكن الجميع من رؤيتها.

انطلق أحد الحضور بتصفيق عفوي، فتجاوب معه بقية الحاضرين، وبدأوا بالتصفيق الحاد استحساناً حتى اضطر الموظف المسؤول أن يصيح طالباً الالتزام بالهدوء.

بعد هدوء عاصفة الإطراء والتصفيق، قال المدعي العام والذي لم يضيع اللحظة الحاسمة أبداً: "ليست لدي أسئلة أخرى للشاهدة سيدي القاضي"، ثم جلس.

بدا المشهد جلياً أمام عيني، كما أظنه أمام أعين المحلفين. انحنى القاضي للأمام وسأل (روث) بصوت حاد: "هل تتوقعين من المحكمة أن تصدق أن رجلاً لامعاً مثل والدك يقدم علي قتل نفسه بتلك الطريقة التي تودي برجل برئ إلى حبل المشنقة؟"

نظرت روث إليه وهزت كتفيها وقالت بصوت هادئ غير متوقع: "أوه، حسناً.. لقد كان والدي من هذا النوع، فقد كان يعتقد بوجود أسباب قوية تدفعه لقتل السيد ويلتون".

كانت لهجتها، وتصرفها يؤكدان هذا القول. ترك المستشار تأمل روث وتشاور مع المدعي العام. ثم نهض المدعي وافتتح جلسة الدفاع قائلاً: أنه لن يضيع وقت المحكمة أكثر من ذلك، وفي ضوء الحل الذي قدمته الآنسة كليستون، فلن يقدم للمحكمة إلا شاهداً واحداً وهو البروفسور موزلي.

تقدم الرجل الأشيب الذي قدم مؤخراً إلى المحكمة من مضة الشهود، واكتشفت سر وجهة المألوف، فقد رأيت صورته في الصحف عشرات المرات، وكان لا يزال محتفظاً بالطرد الورقي. ورداً علي سؤال المدعي، أجاب: "إن ذلك ممكن، وليس صعباً الحصول على سلاح من

تجميد ثاني أكسيد الكربون يستطيع فعل مثل ذلك الجرح المميت". وشرح طريقة صناعته قائلا:

"إن الآنسة كليستون عرفت حل لغز موت والدها، وقد اتصلت بي عند الفطور، وطلبت إلي إجراء التجربة للتأكد من ذلك، فقمت بها وها هو السلاح الذي نتج معي".

وأخرج من الطرد الورقي (ترمساً)، وفتحه، ثم أفرغ محتوياته على قفازية، وسقطت عصا بيضاء، وقال "إن الفرق بين هذه العصا، والعصا التي صنعها كليستون أن قطعته مدببة، ولم يكن لدي قالب مدبب، لكن تلك التي تحملها الآنسة مناسبة جداً، ولا بد أن السيد كليستون قد صنعها بهذه الطريقة".

ثم أعاد السلاح داخل الترمس، وأغلقه.

جلس المدعي العام ونهض المستشار وسأل:

"بالنسبة للنهاية المدببة للعصا يا بروفسور موزلي، هل يمكن أن تظل حادة بشكل تخترق الجلد بتلك الحرارة ؟" أجاب البروفيسور: "في رأيي نعم، كما أن كليستون – باعتباره رجل علم – يعرف ما يفعله تماماً، ولا بد أنه أخرج السلاح واستخدمه بسرعة لا تتجاوز الثانية. وفي اعتقادي أنه أمسك (الترمس) بيسراه واستخدم السلاح بيده اليمنى، إضافة إلى سقوط ورقة الشاي عند ذوبان النهاية المدببة. قال المستشار:

"شكراً لك" واستدار إلى هيئة المحلفين ثم قال: "لم يعد هناك ما نبحث عنه في هذه القضية يا سيدي؟".

نهض رئيس هيئة المحلفين وقال بسرعة: "والمحكمة لا تريد أن تسمع المزيد، لقد اقتنعنا تماماً، وثبتت براءة السجين".. قال القاضي: "جيد جداً"

خرجت من المحكمة مع روث وانتظرنا ويلتون. جاء أخيراً ووقف أمام الباب، تقدم إليها بعد رؤيته إياها. لم يصافح أحدهما الآخر، بل وضعت يدها في ذراعه، وخرجا جنباً إلى جنب من سجن نيو بيلي.